النصيرية
وموقف الإسلام منها

دكتور

حمد الله عويس أبو الحمد

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بقنا

بالصليبيين الغزاة، دبروا محاولة مزدوجة لأغتيال صلاح الدين الأيوبى وانهاء حياته، ولـو وفقـوا - كما يقول كرد على: إلى قتله لقتلوا به أمة بأسـرها حتى يعيشـوا سـنين في دعـه ومجـد، ومـا أكـثر الادعياء في كل زمن في حب دينهم وقوميتهم، فـإذا لم ينـالوا رغباتـهم سـاروا علـى العمياء لحـظ أنفسهم فقط"[1].

ويقول الشيخ أبو زهـرة: "وقـد كـانت النصيريـة أثنـاء الهجمـة الصليبيـة علـى العـالم الإسلامى والوطن العربى عونا للصليبيين على المسـلمين، ولمـا اسـتولى الصليبيـون علـى بعـض البلاد الإسلامية قربوهـم وأدنوهم، وجعلوا لهم مكانا مرموقـا، وعندمـا تمكـن المسـلمون مـن طـرد الصليبيين، اعتصم النصيريون بجبلهم، واقتصر عملهم على تدبير المكائد والفتن، ولمـا أغـار التتـار بعد ذلك على الشام مالأهم أولئك كما مالأوا الصليبيين من قبل، فمكنوا للتتار من الرقاب، حتـى انحسرت غارات التتار، فقبعوا فى جبالهم قبوع القواقع فى أصدافها لينتهزوا فرصة أخرى"[2].

يقول الكاتب النصيرى (محمد أمين غالب الطويل) "حتى أصبح الشعب العلـوى يملـك سجايا وميزات بنيوية تقارب جميع بقية الطوائف العربية والتركية، من مسيحية، ويهودية، ورومية، وغير ذلك"[3].

وهذا الاندماج مع الأمم المعادية للإسلام، يوضحه لنا كاتب نصيرى آخر وبطريقـة أخـرى يقوله: " ومن أظهر ما يعرف به العلويون عنايتهم بالفلسفة الروحيـة العاليـة ومقابلتـها بالأديـان الأهلية، وتوفيق ما يمكن توفيقه .... ويستنتجون من كل ذلـك وحـدة الأديـان وحـدة غايتـها ... هـذه الظاهرة الفكرية التى يمتاز بها العلويون، هى ما جعلـت بعـض الجـهلاء وذوى الغايـات الدنيويـة يلصقون بهذه الطائفة تهمات الوثنية والكفر، وينسبونهم إلى أديان أخرى غير الإسلام[4].

وعند عرضنا لمعتقدات النصيرية نجدهم تأثروا بعقائد النصارى، وهذا يدل دلالة واضحـة على مدى اندماج هؤلاء النصيريين بالنصارى.

---

(1) خطط الشام لمحمد محمود على ٢ / ٥٣ ط دمشق سنة ١٩٢٥ .

(2) المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص ٦٣، ٦٤ د ط دار الفكر العربى - بدون تاريخ .

(3) تاريخ العلويين ص ٣٦١ .

(4) العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ص ١٧٥ - ط - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ط سنة ١٩٨٠م.

أما عن تعاونهم مع التتار فقد كان تعاونا أشد وأمتن، فعندما تصدى الحاكم المملوكي الظاهر بيبرس لحملات التتار المغول، وأفلح في صد احتياجهم الأسود للبلاد الإسلامية، أيدهم النصيريون، فكانوا عونا لهم: "فما دخل التتار بلاد الإسلام، وتمكنوا من حلب ودمشق وغيرهما من الحواضر الإسلامية إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم لهم"[1].

ولهذا ما أن انتهى الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ) من التتار وقضى على جموعهم الكاسرة في واقعة عين جالوت (٦٥٨هـ - ١٢٦٨م). ودفع عن الشام عادية المغول، حتى توجه إلى حصون النصيرية وقلاعهم، فعمل فيها الهدم والتخريب.

يقول ابن تغرى بردى: "ثم خرج الظاهر من دمشق يوم السبت عاشره، وتوجه بطائفة من العسكر إلى جهة، وولده وبيليك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة، وتواعدوا الاجتماع في يوم واحد وبمكان معين ليشنوا الغارة على: جبلة، واللاذقية، والمرقب، وعزفه ومرقيه، والقليعات، وصافيتا، والمحبل، والطرطوس"[2].

ثم ألزمهم ببناء المساجد وتعميرها لعلهم يعودون إلى دين الإسلام، ثم لم يلبثوا أن تركوها خربة لا يدخلونها ولا يعمرونها، وربما أوت إليها مواشيهم، وربما أوى إليها مستطرف فأذن فيها فيقولون له: لا تنهق علفك يأتيك[3].

وفى مطلع القرن الثامن للهجرة: خرجت النصيرية عن الطاعة وكان بينهم رجل اسمه محمد بن الحسن المهدى القائم بأمر الله، وتارة يدعى أنه على بن أبى طالب فاطر السموات والأرض - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، خرج يكفر المسلمين، وأن النصيرية على الحق .. واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها وخرجوا منها يقولون: لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وسبوا الشيخين وصاح أهل البلد: واسلاماه واسلطاناه وأميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد، وقال المهدى. لم يبق للمسلمين

---

(١) رسائل ابن تيمية ص ٩٤. ط القاهرة سنة ١٩٢١م.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن جمال الدين تغرى بردى ٧/ ١٥٠ ط القاهرة ١٩٥٢م.

(٣) المصدر السابق ٧/ ١٥٠.

ذكر ولا دولة، ولو لم يبق معى سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها .... وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل لا إله إلا على، واسجد لالهك المهدى، الذى يحيى ويميت، حتى يحقن دمك[1] .

ومع هجوم المغول في مطالع القرن التاسع الهجرى بزعامة تيمور لنك، وكان متخذا التشيع مذهبا له، لذا نجد النصيريين كانوا من أقوى المتعاونين معه، وخاصة في تحريضه على غزو دمشق وبغداد، والتاريخ يحدثنا عن الفتاة النصيرية (درة الصدف) التى جاءت إلى تيمور لنك إلى حلب ومعها أربعون بنتا بكرا من النصيرية . وهى تنوح وتبكى وتطلب الانتقام لأهل البيت وبناتهم اللاتى جئن بهن سبايا للشام، فوعدها تيمور لنك بأخذ الثأر، ومشت معه حتى الشام والبنات النصيريات معها ينحن ويبكين، وينشدن الأناشيد المتضمنة التحريض لأخذ الثأر، فكان ذلك سببا للشام بمصائب لم يسمع بمثلها، ولم ينج من قتل تيمور لنك في الشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين، حيث كان يقتل السنيين ويستثنى العلويين، ومن بعد الشام ذهب تيمور لنك إلى بغداد وقتل بها تسعين ألفا[2] .

ومع هيمنة العثمانيين في القرن السادس عشر الميلادى على البلاد العربية، ثم ادعائهم الخلافة لأنفسهم، قام صراع سياسى اصطبغ بالطائفية بينهم وبين الدولة الفارسية الصفوية (١٥٠٢م) . والتى كانت ترتبط بوشائج الصلة الفكرية والمادية والعنصرية مع الطائفة النصيرية، وذلك أن الشيخ جنيد الجد الأعلى للشاه إسماعيل الصفوى . كان قد أقام ردحا من الزمن بين ظهراني النصيرية في إحدى القلاع القريبة من جبل أرسوس بخليج الاسكندرونة، كذلك دخل في علاقات زواج ومصاهرة معهم . ولهذا كانت الدولة العثمانية ترى في طائفة النصيرية رديفا يعين الصفويين في حربهم معها مما حملها على أن تتوجس من النصيرية الشر وممالئة الصفويين، ولهذا أرسلت أكثر من حملة عسكرية ضدهم بخاصة قبل معركة (جالديران) الفاصلة (١٥١٤م) التى

---

(١) البداية والنهاية للإمام ابن كثير ١٤ / ٩٦ أحداث (٧١٧هـ) ط – دار الرشيد بحلب ط بدون تاريخ .

(٢) خطط الشام ٢/١٣٧ والنصرية ص ٦٠.

انتصر فيها العثمانيون بقيادة سلطانهم سليم الأول على الجيش الفارسى الذى كان يقوده الشاه إسماعيل الصفوى[1].

وأصبحت النصيرية في ظل الخلافة العثمانية منفذا للدول الأوربية لتعميقها وتلقيحها بمفاهيم انفصالية، حتى أصبحت تلك الخصوصية، ترادف في قاموس السياسة الاستعمارية. في القرن التاسع عشر، مفاهيم أمة أو شعب، وهذا ما نبه إليه مدحت باشا، الذى خدم في سوريا بضع سنين، حين أشار في تقرير بعثه إلى السلطان عبد الحميد الثانى، بتاريخ ١٧ أذار ١٨٧٩م، إلى خطورة التغلغل الأجنبى من خلال الخصوصيات المحلية[2].

ولما كانت النصيرية ليسوا من (ملة المسلمين) ولا من (أهل الذمة) فإن الدولة العثمانية لم تدخلهم في إطار نظام (الملل) الذى شرعته، غير أن بعض رجال الدولة كان يرى ضرورة إدخالهم في الدين الاسلامى لأخراجهم من عزلتهم التى يحرصون عليها، لأنها تخدم ادعائهم بأنهم : أقلية مظلومة ومبغضة ومضطهدة .

فقد كتب (ضياء بك) الذى تولى متصرفيه اللاذقية مدة تقرب من ثمان سنوات (١٨٨٥-١٨٩٢م) ودرس أحوالها عن كثب، تقريرا إلى السلطان عبد الحميد، يقول فيه : إن النصيرية أداة بيد إيران فهم يميلون بعواطفهم إليها، كما أن وجود مدارس الأميركان في بعض انحاء الجبال مضر بسياسة الدولة، ولابد من إغلاقها والاستعاضة عنها بمدارس للحكومة . وخلص إلى القول، أن من الضرورة إدخال النصيرية في الدين الإسلامى . وقد أخذ السلطان برأيه، وعندئذ استدعى المتصرف رؤساء النصيرية وكتب بحضورهم مضبطة في مجلس إدارة اللواء، بأن جميع الطوائف النصيرية دخلت عن رضا وطيبة خاطر في الدين الاسلامى، وأنهم لهذا القصد أرسلوا رساءهم ومشايخهم لكى ينوبوا عنهم بالإقرار والاعتراف بإسلامهم لدى الحكومة، وبعد ذلك شرع بتشييد المدارس والمساجد في مناطقهم، وأقنع الدولة بأنهم مسلمون، ولكن ما أن توفى حتى قام النصيريون بحرق المساجد وهدمها،وتحويل المدارس إلى مساكن[3]

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية – ساطع الحصرى ص ٣٩ : ٤٢ ط دار العلم للملايين بيروت ط ١٩٦٠م . والنصيرية ص ٦٠ .

(٢) النصيرية ص ٦٢ .

(٣) خطط الشام ٣/١٠٨، ودائرة معارف القرن العشرين ١ /٢٤٩، ٢٥٢ .

ومع وجود الاستعمار الفرنسي في سوريا، نجد النصيريون يتعاونون مع الاحتلال الفرنسي، واستخدام الاستعمار هذه الطوائف لتمزيق سوريا وتقسيمها إلى عدة دويلات، وأنشئت دولة للنصيريين تحت مسمى الدولة العلوية سنة ١٩٢٠م . ثم نجدهم يتعاونون مع الاستعمار الفرنسي ويخضعون له، ويرون أن مصلحتهم ببقاء الفرنسيين وعدم جلاءهم من البلاد، هذا إضافة إلى تعاطفهم مع اليهود في تكوين دولتهم، وعدم معارضتهم لسياسة الاستعمار في توطين اليهود بفلسطين، في حين كان العالم العربي يفور غليانا ضد سياسة الاستعمار في البلاد العربية، ويبذل كل الجهود لأجل الاستقلال من الاستعمار .

وحتى اليوم نجد النصيريين لم يلتزموا بالعقيدة الإسلامية، وإنما ظلوا كما كانوا يعيشون على مبادئهم التي صاروا عليها منذ نشأتهم، ولم تنفعهم الحركات الإصلاحية لإدخالهم في الدين الإسلامي والالتزام بمنهجه العقدية والشرعية والخلقية . حتى اليوم

المعتقدات الدينية لدى النصيرية

نجد النصيرية في عقيدتها عبارة عن مجموعة أو خليط من أفكار الديانات السابقة على الإسلام كالبوذية والهندوسية والذرادشقية، وعبادة الكواكب والشمس والقمر، والديانة المسيحية.

ويمكن حصر هذه المعتقدات في الأصول الكبرى للنصيرية

أولاً : عقيدة الحلول والاتحاد والتأليه .

ثانياً : عقيدة التناسخ ونفي البعث والعقاب والثواب .

ثالثاً : التأويل الرمزي .

رابعاً : إسقاط التكاليف الشرعية، وإباحة المحرمات .

خامساً : التعاليم السرية .

أولا : عقيدة النصيرية في القول بالحلول والاتحاد والتأليه

نجد العقيدة الأساسية عند النصيريين، هي تأليه (علي) - رضي الله عنه - فيزعمون أن عليا إله، أو حلت فيه الألوهية، فيؤمنون بثالوث يتكون من علي، ومحمد -ﷺ- وسلمان الفارسي . ويتخذون من ذلك شعارا يتكون من الحروف الثلاثة (ع . م . س) .

وهذا الثالوث يفسر عنهم بـ (المعنى، والاسم، والباب) .

فالمعنى هو الغيب المطلق، أى الله الذى يرمز له بحرف (ع) وهو على .

والاسم : هو صورة المعنى الظاهر، ويرمز إليه بحرف (م) وهو محمد -ﷺ-.

والباب : هو طريق الوصول للمعنى، ويرمز إليه بحرف (س) وهو سلمان الفارسى[1] .

ومن اعتقادهم كذلك في على : أن صوت الرعد هو صوت على . ينادى قائلا: يا عبادى اعرفونى ولا تشكوا بى، وأن عليا يسكن القمر، أو بالأحرى أن القمر هو على ذاته، وأن ما في القمر من سواد ليس إلا أعضاء جسم على، ومن ثم كان القمر معبودا لهم. وكلمة قمر توحى بالضياء، وهى مكونة من ثلاثة أحرف، ولما كانت كلمة (شمس) . وكلمة (نجم) كل منها مكونة من ثلاثة أحرف، وتعطى ضياء فإن الصلة وثيقة القداسة بينها . ولذا فإن بعضهم يذهبون إلى أن القمر هو على، والسماء هى على، والشمس هى محمد - ﷺ-.

ومن حيث العبادة : فإن فرقهم تنقسم إلى طوائف : هم عباد السماء، وعباد القمر، وعباد الشمس، وعباد الهواء، وليس كل من السماء والشمس، والقمر والهواء إلا عليا[2].

وشخصية محمد - ﷺ- متصلة بعلى ليلا، ومنفصلة عنه نهارا، ويعنون أن الشمس هى محمد - ﷺ- وأنه خلق السيد سلمان .

وهؤلاء الثلاثة : هم الثالوث الأقدس - عند النصيرية - فعلى عندهم هو الأب ومحمد الابن، وسلمان الفارسى هو الروح القدس .

وأن السيد سلمان خلق الأيتام الخمسة، الذين خلقوا كل هذا العالم الموجود، وأن ترتيب السموات والأرض بيد هؤلاء الخمسة الأيتام .

١ - فالمقدام (ابن الأسود) : موكل بالرعود والصواعق والزلازل .

٢ - أبو ذر الغفارى : موكل بدوران الكواكب والنجوم .

٣ - عبد الله بن رواحة : موكل بالرياح وبقبض أرواح البشر .

٤ - عثمان بن مظعون : موكل بالمعدة وحرارة الجسم وأمراض الإنسان .

---

(١) الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان أفندى الأذنى جـ١٤ ط١ دار الصحوة للنشر بالقاهرة د ط أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م . وينظر إسلام بلا مذاهب ص ٣٣٣ .

(٢) ينظر الباكورة السليمانية ص ٣٥ : ٣٨، وإسلام بلا مذاهب ص ٣٣٧ : ٣٣٨ .

٥ – قنبر بن كادان : فهو الموكل بدخول الأرواح في الأجسام[١] .

فهذا التصور للألوهية عند النصيريين، يناقض العقيدة الإسلامية التي تقرر مبدأ: الوحدة الذاتية المطلقة للإله، وما تقيمه من فصل وتمييز بين الربوبية وعالم الخلق، فلا حول ولا اتحاد . ومن ثم لا يستقيم مع هذه العقيدة في الوحدانية الخالصة المنزهة عن المماثلة والمشابهة دعوى أن يهبط الإله ليحل في المخلوق، أو يرقى المخلوق عن عالم الحايثة والتشخيص، ليتحد بالله في عالم التنزيه[٢].

لأن الله تعالى لا يشبه شئ من المخلوقات، ولا تشهد الحوادث، لأنه تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[٣] . وأن كل ما يحدد الإله أو يشخصه في صور المخلوقات فهو مردود قوله واعتقاده، بحكم العقيدة الإسلامية التي من مقاصدها تنزيه الإله عن صفات الحوادث .

إلا أن جماعات الغلاة، وتحت التأثير اللاشعوري لعقائدها التي آمنت بها طويلا قبل دخولهم الإسلام، فأدعى أكثر من نفر منهم الألوهية للأئمة تارة . ولذواتهم أخرى، على سبيل الاتحاد والحلول .

ولهذا جعل الشهرستاني هذا القول بمثابة التعريف الشامل لهم ولأبنيتهم الفكرية . فقال: "الغلاة اسم على أولئك الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بإلاله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى . إذ اليهود شبهوا الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه المشبهات في أذهان الشيعة الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة "[٤].

---

(١) الباكورة السليمانية ص ٢٩، ٣٠ .

(٢) ينظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها في الإسلام . د/ عرفان عبد الحميد ص ١٥٥ – ط دار المعارف – ط بدون تاريخ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) الملل والنحل ١/ ١٧٦ .

وهكذا زعم عبد الله بن سبأ : "أن عليا كان إلها، وكان يقول هو الإله على الحقيقة"[1] والشريعية كانت تعتقد : أن الله تعالى : "حل في خمسة أشخاص : في محمد، وعلى، وفاطمة، والحسن، والحسين"[2].

والجناحية زعموا : "أن روح الله تحل في الأنبياء والأئمة"[3].

والخطابية زعمت: "أن الأئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يقول : أن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه، وكان يقول أن جعفرا الصادق إله"[4].

وقد أكد هذا التواصل والارتباط بين تأليه الأئمة وعقيدة الاتحاد والحلول . العلامة ابن خلدون. فيقول: "ومنهم طوائف يسمون بالغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات ا لإلهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية وهو قول بالحلول"[5].

وعن الغلاة الأوائل سرت هذه الفكرة إلى طوائف من الصوفية - الغلاة - ممن زعموا: أن : " كل من هذب نفسه فى الطاعة، وصبر على اللذة، وصفا حتى لا يبقى فيه شئ من البشرية، حل فيه روح الإله "[6].

---

(1) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – ط المكتبة العصرية – ط ١٤١١هـ / ١٩٩٠م . والتبصير في الدين لأبى المظفر الاسفرايني جـ١٠٣ تعليق محمد زاهد الكوثرى – ط المكتبة الأزهرية للتراث – ط أولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

(2) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، والتبصير في الدين ص ١٠٧، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام أبى الحسن الأشعرى – ص ١٤ تحقيق هلموت رثير – ط – فرنز شتاير بقيسبادن ط ثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(3) الفرق بين الفرق ص ٢٤٦، والتبصير في الدين ص ١٠٥ .

(4) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧، والتبصير في الدين ص ١٠٦، ومقالات الإسلاميين ص ١١، والفصل في الأهواء والملل والنحل للإمام ابن حزم الظاهرى ٥ /٤٨ – تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة – ط دار الجيل ط ثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(5) مقدمة ابن خلدون – لعبد الرحمن بن خلدون ص ٣٥١ – ط بيروت ط – سنة ١٩٠٦م.

(6) التبصير في الدين ص ١١١ والفرق بين الفرق ص ٢٦٣ .

ومن هؤلاء الحلاج، حتى قتل لأجل ادعائه حلول اللاهـوت في الناسـوت، ودعـا إلى مثـل عقيدته ابن أبى القراقر الشلمغانى، الذى عقد ابن الأثير الجزرى صلـة ربـط وتشـابه بينـه وبـين النصيرية بل وقال لعلها هى هى[1].

وبلغت العقيدة كامل صورتها عند الحلاج، الذى نقل عنه قوله: "من هذب في الطاعـات جسمه، وشغل بالأعمال قلبه، وصبر على مفارقة اللذات، وملك نفسه في منع الشهوات، ارتقى بـه إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يتنزل في درجة المصافات حتى يصفو على البشـرية طبعـه، فـإذا لم يبـق منه من البشرية نصيب. حل فيه روح الله الذى كان منه عيسى ابن مريم، فيصير مطاعـا، فـلا يـرد شيئا إلا كان، من كل ما ينفذ فيه أمر الله، وأن جميع فعله فعل الله"[2].

ولهذا فقد عرض بعض الباحثين الحلاج " صورة جديدة من أبى الخطاب، الزعيـم الغـالى، الذى قتل في الكوفة سنة ٧٣٨م"[3].

وإذا علمنا أن مؤسس النصيرية – محمد بن نصير – استقى فكره وعقيدته من الخطابيـة، ادركنا التواصل التـأريخى للعقيـدة ابتـداء مـن الخطابيـة والجناحيـة إلى الشـريعية والحلاجيـة ثـم النصيرية.

واتخذت العقيدة عند الغلاة عموما وعند النصيرية على وجه الخصوص صورة ملفقـة مـن الديانات السابقة على الإسلام، تقوم على ثلاثة أركان:

أولها: مستمدة من مذاهب الغنوصيين التى تختلط فيـها العنـاصر الدينيـة بمفـردات مـن الفلسـفة اليونانية، وخاصة الأفلاطونية المحدثة ومذهبها في الفيض والصدور.

أما الثانى: فيرتد إلى وثنية حران التى اعتمدت مبدأ تأليه الأفـلاك والنجـوم والكواكـب السـيارة باعتبارها موجودات روحانية مفارقة ومجردة.

---

(1) ينظر الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزرى ٧/١٠٣ : ١٠٥ راجعه وحققه د/محمد يوسـف الدقـاق – ط دار الكتـب العلمية بيروت – ط ثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(2) كتاب الطواسين في أخبار الحلاج لماسنيون ص ١٣٥ – تحقيق محمد جابر عبد العل – ط مصر – سنة ١٩٦١.

(3) الصلة بين التشيع والتصوف لكامل الشيبى ص ٣٦٨ ط دار المعارف – ط ثانية بدون تاريخ.

وأما الثالث: فمستمد من ديانات الفرس القديمة، وخاصة المانوية والزرادشتية ومذاهبها في (قدم الأنوار، والعالم النورانى)[1].

وقد تلاقت هذه العناصر والامشاج الدينية والفلسفية على أرض الشام، ونتج عنها نشأة سلسلة من المذاهب الدينية الفلسفية، التى تعتمد في جملتها على نزعة الجمع والتلقيق وإنشاء المذاهب المركبة التى كانت منها النصيرية .

أما الأول: من هذه الأركان : فيبتدئ في دعوة النصيرية أن عليا - هو المعنى الذى رمز للألوهية المجردة التى تتعالى عن الوصف والتعبير، فلا يدرك لذاته، ثم صدر عنه موجود أول هو (الاسم) أى: محمد، ليشكل الصورة الخارجية المرئية والمشخصة، فهو المظهر أو التجلى الخارجى المادى للألوهية المجردة، والناطق باسمها، وكما أن (الاسم) هو المظهر الخارجى المشخص للمعنى، كذلك فإن (الباب) ويرمز إليه بسلمان الفارسى، هو الطريق الروحانى الذى يصل الإنسان العادى عبره، وعن طريقه إلى معرفة عالم الغيب المجرد[2] .

ونحتت النصيرية من هذه المبادئ الثلاثة عقيدتهم في التثليث لينتهوا إلى كلمة السر المقدسة المكونة من الأحرف الأولى الثلاثة:ع.م.س (عمس) وهو ما يقابل : الآب، والابن، والروح القدس في المسيحية .

ومن أوجه التشابه بين النصيرية والمسيحية غير الاعتقاد بالتثليث وتشبيه السيد المسيح عليه السلام - بالإمام على، الجوانب التعبدية كالطقوس وصور العبادات والأعياد، وتقديس الخمر عند النصيريين .

ومن وجوه المماثلة والمطابقة بينهما في الطقوس والعبادات، كالعشاء الربانى . والتعميد بالزيت، والاعتراف بالخطايا، واستحلال الخمر، والاحتفال بأعياد مشتركة، مثل : عيد الميلاد، ويصادف عند النصيريين رأس السنة الشرقية عند الأرثوذكس . حيث يقدم فيه النبيذ، ولحم البقر .

---

(1) النصيرية لتقى شرف الدين ص ١٢٣ : ١٢٥ .

(2) المصدر السابق ص ١٢٦ .

ومن الأعياد أيضا : عيد الصلب وعيد الغطاس، وعيد يوحنا المعمدان، وعيد يوحنا فم الذهب، وعيد الشعانين وعيد لمريم المجدلانية[1] .

وأما عملية الفيض والصدور هذه تتخذ صورة تعاقبية سباعية ترتد في أصولها الأولى إلى تعاليم أبى الخطاب، مع اختلاف في ترتيب المراتب والأشخاص[2] .

وأما العنصر الوثنى المتصل بعبادة الأفلاك والكواكب عند صابئة حران فيبتدئ في إطلاق النصيرية على الإمام (على) تارة اسم (الشمس) وأخرى اسم (القمر). حتى انشقت الطائفة على نفسها إلى فرقتين:

أحدهما : شمالية، وتعرف بالشمسية.

والثانية : جنوبية، وتعرف بالقمرية . أو الكلازية.

وذهبت الأخيرة، إلى أن عليا هو ذات القمر، وهو محجوب عن أعيننا، ونراه أسود ومتى خلصنا من هذه القمصان - يقصدون هياكل الأبدان - فإننا نرتفع بأمانتنا إلى ما بين الكواكب وحينئذ نراه[3] .

وكانت الشمالية تقول: بأن القمر مخلوق فلا يصح أن يكون معبودا، فترد عليهم القمرية بقولها : إن عليا خلق القمر ليسكن فيه الرجل الذى يبنى له ليسكنه، أو يصنع كرسيا يجلس عليه، ولهذا اعتقدوا أن السواد في القمر هو المعبود . وله يدان، ورجلان، وبدن، وعلى البدن رأس، وعلى الرأس تاج، وبيده سيف هو ذو الفقار[4] .

وأخيرا فإن الأصل الفارسى في العقيدة النصيرية، يظهر في اعتقاد الطائفة بأن الأئمة من آل البيت، وكذلك أهل المراتب العليا من الروحانيين موجودات نورانية سابقة في وجودها الروحانى العلوى المفارق على هذا الوجود المادى المشخص في القمصان البشرية، وعن طريق

---

(1) ينظر الباكورة السليمانية ص ٤٥، وإسلام بلا مذاهب ص ٣٣٤ .

(2) ينظر النصيرية لتقى شرف الدين ص ١٢٧ : ١٢٩ .

(3) الباكورة االسليمانية ص ٢٠ .

(4) المصدر السابق ص ٣١ وينظر النصيرية ص ١٢٩ : ١٣٠ .

التناسخ يتطهرون ويظهرون فيصيرون أنوارا خالصة، تصعد لتتخذ من النجوم مستقرا لها، وتلحق بالعالم النورانى الأكبر[1].

وبعد فإن تأليه الإمام على - رضى الله عنه - جاء نتيجة طبيعية لاعتقاد النصيرية بنظرية الحلول - مما جعل بعض الباحثين على إطلاق اسم (العلى آلهية) عليهم.

وعلى سائر الفروع التى تفرعت من دعوى الخطابية (كالبكتاشية) و (القزل باشية).

وفيما يلى جملة من النصوص المنقولة عن كتبهم المعتبرة التى تؤيد ما سردناه.

فقد جاء في كتابهم المقدس ما ذكره صاحب الباكورة السليمانية. قولهم: يا أمير النحل يا على. يا عظيم بالتوحيد والتفريد والتجريد إليك. يا أمير النحل يا على. يا عظيم يا أزل، يا قديم، يا بارى، يا حكيم ... يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبر الأمور[2].

وفى السورة الثانية عشر وهى الإمامية. إذ أنها: " هى السورة المرئية المعاينة النائرة هى على بن أبى طالب، القديم الأحد، الفرد الصمد الذى لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينقسم، ولا يدخل في عدد، فهو إلهى وإلهكم، وإلهكم وإلهى، إمامى وإمامكم، وإمامكم وإمامى، إمام الأئمة، وسراج الظلمة "[3].

وفيه أيضا: " أسألك يا مالك الملك، يا أمير النحل يا على، يا وهاب، يا أزل يا تواب ... أمير النحل .. يا صاحب الدولة العالية، يا من أنت الأحد واسمك الواحد، وبابك الواحدية "[4].

وفيه أيضا: " يا أمير النحل. يا رغبة كل راغب، يا قديما بالاهوت، يا معدن الملكوت، أنت إلهنا باطنا، وإمامنا ظاهرا "[5].

---

(1) النصيرية ص ١٣٠.

(2) الباكورة السليمانية ص ٣٤.

(3) الباكورة السليمانية ص ٣٨.

(4) المصدر السابق ص ٢٢.

(5) المصدر السابق ص ٢١.

وجاء في كتاب الهداية الكبرى . قوله : قال علي للشمس : السلام عليك يا خلق الله الجديد، ثم همهم همهمة تزلزل منها البقيع، فأجابت الشمس وعليك السلام .. يا أخا رسول الله ووصيه، أشهد أنك الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت بكل شئ عليم[1] .

من خلال ما سبق عرضه عن الجانب الإلهي لدى النصيريين، نجده مخالفا للإسلام، لأن الإسلام في تفريده للألوهية يحارب كل من ادعى الألوهية لغير الله، كالنمرود بن كنعان، الذى جاء فيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2] .

وكفرعون مصر الذى ادعى الألوهية: ﴿فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾[3].

وكادعاء النصارى ألوهية المسيح — عليه السلام — فقال الله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي

---

(1) النصيرية لتقى شرف الدين ص ١٣٠، ١٣١ والعلويين بين الحقيقة والأسطورة ص ٢٤٨ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٥٨ .

(3) سورة النازعات آية : ٢٣، ٢٥ .

(4) سورة المائدة آية : ١٧ .

(5) سورة المائدة آية : ٧٣ .

نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (١).

لذا فإن ما يدعيه النصيريون من الألوهية لعلى، ما هو إلا كفر بالله، ككفر النمروذ وفرعون والنصارى في ادعائهم الألوهية للمسيح - عليه السلام - وما ادعائهم للإسلام ما هو إلا مظلة يختفون تحتها بكل أفكارهم الوثنية، يحاولون من خلالها هدم الإسلام في أصل هام من أصوله وهو التوحيد الخالص لله . والاسلام ما جاء إلا لهدم الوثنية بكل صورها وأشكالها، وتحرير العقل من رق العبودية للمخلوقات، وخضوعه للواحد القهار .

لذا كان القرآن في آياته الكريمة دعوة للإنسان والبشرية جمعاء في توحيد الخالق، والبعد عن الشرك والوثنية المهينان للعقل الإنساني، وهذا الهدف كان دعوة كل نبى ورسول، بعثه الله تعالى لهداية البشر فقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ﴾ (٣) حتى الأنبياء - ﷺ - أمرنا الله أن نعاملهم معاملة البشر، وندد بمن يعبدهم من دونه، لأن ذلك يبعدنا عن رسالة الأنبياء، وهى دعوة الخلق إلى توحيد الخالق جلا علاه

فقال تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا . أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ (٤) .

وقوله - ﷺ - : "لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أن عبد، فقولوا عبد الله ورسوله" (٥) .

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٦، ١١٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٨٠ .

(٥) صحيح الإمام البخارى - كتاب الأنبياء - باب يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ٦ / ١٣٥ - رقم الحديث ٣٤٤٥ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط دار الفكر بدون تاريخ، وسنن الدارمى - باب قول النبى - صلى الله عليه وسلم لا تطرونى ٢ / ٣٣٠ - رقم الحديث ٢٧٧٨ - تحقيق فواز احمد زمزلى . وخالد السبع العلمى - ط دار الريان للتراث - ط أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

فلو كان الإسلام، كما يصوره غلاة الشيعة - وبخاصة النصيرية - لم كان هناك حاجة لإرسال الرسول، ولم كان هناك اختلاف وقتال بين المسلمين من جهة وكفار قريش واليهود والفرس والروم من جهة أخرى، ولم كان هناك داع لقول الرسول - ﷺ -:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله . فإن فعلوا ذلك . فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم وأنفسهم وحسابهم على الله "[1].

فادعائهم السابق، يلزم منه تكذيبهم لله ورسوله، وتأثيم الرسول - ﷺ - وأصحابه الكرام، وأتباعهم في قتالهم للكافرين المخالفين لعقيدة التوحيد من جهة أخرى.

ثانيا : عقيدة التناسخ ونفى البعث والعقاب والثواب

عقيدة التناسخ قديمة في التاريخ، وهي من الأفكار التي سادت المذاهب الدينية والفلسفية التي ظهرت في العالم القديم، كالبوذية والهندوسية والبرهمية وغيرها من الديانات الوضعية والأفكار الفلسفية .

يقول الشهر ستاني: "كان التناسخ مقالة لفرقة كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية، والهند البرهمية، ومن الفلاسفة والصابئة"[2].

ويقول البغدادي: "إن القائلين بالتناسخ أصناف : صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام، وصنفان آخران ظهرا في دولة الإسلام . أحدهما من جملة القدرية[3]، والآخر من جملة الفرق الغالية "[4].

---

(1) صحيح الإمام البخاري - كتاب الإيمان - باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١ / ٧٥ - رقم الحديث ٢٥، وسنن النسائي - كتاب الزكاة - باب مانع الزكاة ١/ ١٤١، ١٥ - رقم الحديث ٢٤٤٣ - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة - ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب - ط أولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . وسنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الكف عمن قال لا إله إلا الله ٢ / ١٢٩٥ - رقم الحديث ٣٩٢٧ . ٣٩٥٨ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط المكتبة العلمية بيروت - ط بدون تاريخ .

(2) الملل والنحل ١ / ١٧٨ .

(3) يقصد أحمد بن خابط كان من القدرية فادعى تناسخ الأرواح فتبرئت منه المعتزلة (الفرق بين الفرق ص ٢٧٠).

(4) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ .

وبعد حركة الفتوحات الإسلامية، وما نتج عنها من اختلاط بين الأمم والشعوب وامتزاج وتفاعل بين الآراء والمعتقدات، سرت هذه العقيدة إلى الفكر العربى الإسلامى، وكانت مدارس الغلاة التلفيقية تمثل البؤر الرئيسة التى نبتت فيها هذه العقيدة، فالمعمرية، وهم نوع من الخطابية، كانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح[1].

والهاشمية : كانت تزعم أن الأرواح تناسخت من شخص، وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، إما أشخاص بنى آدم، وإما أشخاص الحيوانات[2].

ولقد لخص لنا النوبختى هذا كله فقال: " ومقتضى مذهب هؤلاء الغلاة : أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هى خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان. أو معذبون فيها، والأبدان هى الجنات وهى النار، وأنهم منعمون في الأجسام الحسنة الأنسية المنعمة، ومعذبون في الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان، محولون من بدن إلى بدن . معذبون فيها هكذا أبد الأبد، فهى جنتهم ونارهم، لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار"[3].

ولهذا أخرج علماء المذاهب الإسلامية القائلين بالتناسخ من دائرة الإسلام، وحكموا عليهم بالكفر . باعتبار أن هذه العقيدة تصطدم مع ركن ثابت عرف من الدين بالضرورة ألا وهو الإيمان بالمعاد الأخروى الثابت بنصوص قطعية تفيد اليقين .

وبقدر ما يتعلق الأمر بالنصيرية، وهى تمثل امتداداً تاريخيا لأفكار الغلاة . فقد جعلت من عقيدة التناسخ محورا ثابتا، وقاعدة أصيلة فى بنية فكرها الدينى . والتناسخ عند النصيرية يطلقون عليه (التنكيس) أو (التجيل) يتخذ دورات سباعية فيضية فى صورة جول هابط مماثلة للدرجات الجحيم، وفيها هبطت الأرواح من عالم الأزل النورانى إلى الأرض، فى مراتب متعاقبة هى : الفسخ، النسخ، المسح، الوسخ، الرسخ، القش، ثم القشايش .

والمراتب السبعة : هى مراتب العالم السفلى البشرى .

النسخ : انتقال الروح من إنسان إلى إنسان .

---

(1) الملل والنحل ١/ ١٨٣ والفرق بين الفرق ص ٢٤٨ والتبصير في الدين ص ١٠٦ ومقالات الإسلاميين ص ١١.

(2) الملل والنحل ١/ ١٥٠.

(3) فرق الشيعة لأبى سهل النوبختى ص ٣٢ – ٣٥ تحقيق هلموت رتير – ط استنبول ط ١٩٣١م .

والفسخ : انتقالها إلى نبات .

والمس : انتقالها إلى حيوان . الوسخ : إلى ادران وأوساخ .

الرسخ : إلى نبات قصير، والقش : إلى نبات يابس .

والقشاش : إلى أرض بور، ويعنى أيضا : البق والذباب والنمل، وما يشبه ذلك[1].

وبالتناسخ تتجه الصورة في حالة تصاعدية لأجل التطهير الروحاني، والعودة من عالم (القمصان البشرية اللحمية) . إلى عالم الكواكب والنجوم .

ومن هنا جاء اعتقادهم بأن (المجرة) تمثل مجموع أرواح أبناء الطائفة الذين انتهوا إلى السماء، بعد سلسلة تطهرية تعاقبية وصاعدة، عبر عملية تتخذ صورة التناسخ الدورى[2].

وقد ذكر سليمان الأذنى عدة نصوص تؤيد ما ذكرناه عن النصيرية في اعتقادها تناسخ الأرواح . ومن هذه النصوص .

اولا : في الفصل الرابع : يقول فيه : " أن كل طوائف النصيرية يعتقدون بأنهم كانوا في البدء قبل كون العالم أنوارا مضيئة، وكواكب نورانية، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يغتطون "[3].

ثانيا : في الفصل السادس : يقول فيه : " إن النصيرية كافة تعتقد أن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم إذا ماتوا تحل أرواحهم في هياكل الحمير . وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في هياكل القرود، وأما الأشرار من طائفتهم تحل في أرواح المواشى التى تؤكل،ولكن الخاصة المتشككين في الديانة فبعد موتهم يصيرون قرودا "[4]

ثالثا : في الفصل السابع : يقول : " ولكن متى خلصنا من هذه الكثائف البشرية ترتفع أرواحنا . إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها، التى هى درب التبان، ونلبس هياكل نورانية، وحينئذ نرى السماء صفراء، وإن شككنا فيها في هذه الحياة الفانية تحل أرواحنا في أجسام المسوخية، وليس

---

(1) العلويون النصيريون لأبى موسى الحريرى ص ٧١، ٧٢ ط بيروت ط سنة ١٩٨٠م .

(2) النصيرية ص ١٥٢ .

(3) الباكورة السليمانية ص ٦٩ .

(4) الباكورة السليمانية ص ٩٦ .

لنا نجاة إلى أبد الأبدين، وأما باقي الطوائف الخارجة عن هـذا الاعتقاد فمنهم الغنم والوحوش وسائر الممسوخات، وليس لهم خلاص أبدا "[1] .

والنصيرية حتى وقتنا الحاضر لا ينكرون هذا الاعتقاد، بل يؤمنون به، ويبررونه بكل ما يعنيه هذا الاعتقاد من كفر وإنكار، لدى أهل السنة من المسلمين والمعتدلين من الشيعة .

يقول هاشم عثمان النصيرى : " إن إنكار وجود البعث شئ طبيعى، وهو كان ذائعا في العصر العباسى، قبل ظهور اصطلاح النصيرية "[2].

وكأنه بهذه المقولة يبرر إنكار النصيرية لعقيدة البعث . وكان الإنكار لهذه العقيدة شئ عادى بالنسبة لهم . متناسين أن اعتقاد التناسخ بكل صوره وأشكاله يهدم ركنا هاما من أركان الإيمان في الإسلام .

وهو الإيمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وهذا واضح في آيات القرآن الكريم . منها : قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾[4] وحديث الرسول - ﷺ -: أن جبريل — عليه السلام — جاءه فسأله — فقال ما الإيمان : قال : **"أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وبلقائه وتؤمن بالبعث الآخر"**[5] .

ووصف الله هذا اليوم بوصف دقيق في كثير من الآيات والسور . كقوله تعالى : ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**

---

(1) المصدر السابق ص ١٠٠ .

(2) العلويون بين الأسطورة والحقيقة ص ٧ .

(3) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(4) سورة النساء آية : ١٣٦ .

(5) صحيح البخارى - كتاب الإيمان - باب - سؤال جبريل النبى - صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام وعلم الساعة ١ / ٢٠ رقم الحديث ٥٠، وصحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب - بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١ / ٣٩ رقم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - ط دار الحديث ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١الحديث ٩ .

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ *وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يوم تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن، ولا يسئل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه. وصاحبته وأخيه: وفصيلته التى تؤيه. ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه. كلا إنها لظى ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجرت ﴾[4].

وقوله: ﴿ إذا السماء كورت. وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجرت ﴾[5].

وقوله: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان ما لها. يومئذ تحدث أخبارها ﴾[6].

وقوله: ﴿إذا وقعت الواقعة. ليس لوقعتها كاذبة. خافضة رافعة. إذا رجت الأرض رجا، وبست الجبال بسا. فكانت هباء منبثا ﴾[7].

---

(1) سورة الحج آية: ١، ٢.
(2) سورة القارعة الآيات: ١ – ٥.
(3) سورة المعارج الآيات: ٨ – ١٥.
(4) سورة الانفطار الآيات: ١ – ٣.
(5) سورة التكوير الآيات: ١ – ٦.
(6) سورة الزلزلة الآيات ك ١ – ٣.
(7) سورة الواقعة الآيات ك ١ – ٦.

ثالثا : التأويل الرمزى والباطنى

التأويل : " مشتق من الأول وهو الرجوع، يقال آل إليه أى أرجعه، وعند علماء اللاهوت تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها، فالشريعة كما يقول بعضهم مشتملة على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس، وتباين قرائحهم في التصديق، فكما لابد من إخراج النص من دلالته الظاهرية إلى دلالته الباطنية بطريق التأويل، فالظاهر هو الصور والأمثال المضروبة للمعانى، والباطن هو المعانى الخفية التى لا تتجلى إلا لأهل البرهان، فالتأويل في نظرهم - هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها "[1] .

والتحول والانتقال من المعنى الظاهرى والمباشر المستفاد من النصوص الدينية، إلى معنى عقلى أو مجازى، أمر عرفته الأديان السماوية عامة .

وعند إطلاقه ينصرف الذهن عادة إلى إحدى صورتين لا ثالث لهما

فهو إما أن يتخذ صورة التحول المقيد بأحكام اللغة، وعادة الاستعمال فيها، وما تجوزه من صور التحول وما تحليه، أو أن يتخذ صيغة (التحرر الكامل) من القواعد والاستعمالات، التى أقرها فقهاء اللغة للمجاز .

والصورة الأولى : مما عم الأديان جميعا، وبدرجات متفاوتة، لأنه مما يقتضيه الفهم السوى والإدراك السليم للدين وأحكامه وتقريراته، بغية رأب الصدع والخلاف، وما يبدو من تناقض أو تضاد بين ظواهر النصوص، وما يرشدنا إليه العقل والمنطق والبرهان .

ولهذا قال الفخر الرازى : " جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار "[2] .

ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الدين - إلا ما ندر - على وجوب صرف النصوص الدينية التى تشعر ظواهرها بالتشبيه والتجسيم بين الله تعالى وخلقه، عن معانيها المباشرة إلى معانى مجازية، تسمح بهما قواعد اللغة العربية، وعادة أهلها في الاستعمالات اللغوية، وذلك لأن

---

(1) المعجم الفلسفى د/ جميل صليبا ١ / ٢٣٤ د ط دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط سنة ١٩٧١م .

(2) أساس التقديس في علم الكلام للإمام فخر الدين الرازى ص ١٨٠ - ط القاهرة ط ١٩٣٥ .

الدليل العقلى والشرعى، قد قام على مباينة ذات الله تعالى عن المخلوقات، ومن ثم لزم صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح، لقيام الدين القاطع على أن الظاهر ممتنع[1].

وقد جهد العلماء من أجل وضع القواعد الضابطة، التى تنظم عملية التحول والانتقال من الظاهر إلى المجاز، مخافة أن يستخدم في غير ما أجيز له، كما فعلت الباطنية، والقرامطة والنصيرية، وغيرها من الغلاة.

ولهذا قرر العلماء أن التحول والانتقال من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية ينبغى بل ويلزم فيه الالتزام بقواعد اللغة العربية في تسمية الشئ بشبيهة أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير من الأمور التى عددت في تعريف أصناف الكلام المجازى، وإلا ينصرف التأويل إلى أصل من أصول العقائد ومهماتها، ولهذا أوجبوا تكفير من يغير الظاهر فيها بغير برهان قاطع[2].

ولذا يقول الإمام الغزالى عن التأويل: " أن لنا معيارا في التأويل، وهو أن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره، علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك بشرط أن يكون اللفظ مناسبا له بطريقة التجوز والاستعارة"[3].

أما الصورة الثانية: فهى ما صار إليها وأخذ بها ملاحدة الشعوبية والغلاة من الباطنية كالإسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية وغيرها.

وهذه الصورة في التحول والانتقال من الحقيقة إلى المجاز، لا تقيم لقواعد اللغة وزنا، ولا تعرف لعادة الأمة في استعمالها اللغوية حرمة، بل يتصدى أصحابها لتأويل الدين وأحكامه على مقتضى عقائدهم الفاسدة، التى تعتمد المزج والتلفيق بين مذاهب دينية مختلفة، وأحزاب سياسية واجتماعية متعددة، وآراء فلسفية وعلمية متنوعة. وعن طريق تأويل النصوص تأويلا يلائم أغراضهم، زعموا أن لكل آية، بل لكل كلمة في القرآن، تخفى وراءها معنى باطنيا. والغرض من ادعاء الظاهر والباطن، وأن الحقيقة الباطنية اسمى من الحقيقة الظاهرة، هو سقوط التكاليف الشرعية.

---

(1) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للإمام أبى حامد الغزالى ص ١٨٨، ط دار المعارف بدون تاريخ

(2) أساس التقديس في علم الكلام ص ١٨٢.

(3) فضائح الباطنية للإمام الغزالى ص ٥٣ تحقيق عبد الرحمن بدوى – ط القاهرة سنة ١٩٦٤م.

يقول الإمام الغزالى : " وعرفوا بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشرة، وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع . فإنهم إذا أنتزعوا عن العقائد موجب الظواهر، قد روا الحكم بدعوى الباطن . ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين "[1] .

ويقول ابن الجوزى عن الباطنية : " يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر . مجرى اللب من القشر بصورتها، توهم الجهال صورا جلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية . وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها، كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عن التكليف واستراح من أعبائه "[2] .

والغرض من التأويل الرمزى الباطنى هو الخروج من التكاليف الشرعية، والانسلاخ منها، بدعوى أنهم من أهل الباطن، وأن هذه التكاليف لا تكون إلا لغيرهم وهم أهل الظاهر . وأن هذه العبادات ما هى إلا أمثال مضروبة تحتها معان هى بطونها، وأن هذه البطون هى التى عليها العمل وفيها النجاة، وأما الظواهر في استعمالها الهلاك والشقاء . لذا فهم أهل الباطن لأنهم أدركوا معنى الرموز والإشارات لهذه العبادات التكليفية، ومن ثم سقطت عنهم التكاليف .

وتأسيسا على هذا المنهج الباطنى وصدورا عنه أخذت النصيرية بتأويل الشرع وفق مقررات مذهبها التلفيقى ونظام دعوتها التى تعتمد التدرج والسرية والكتمان . فزعمت : أن عليا قد خصص بالتأويل، وأن محمدا خصص بالتنزيل، واعتبار على والنبى كالضوء من الضوء، إلا أن أحدهما أسبق، والثانى لاحق له ومن ثم تفضيل الباطن على الظاهر، أن على النبى، والولاية على النبوة وحملهم هذا الرأى على وصف أنفسهم بالمؤمنين والممتحنين، وأهل التوحيد وأن يسموا الشيعة الاثنا عشرية، بالشيعة الظاهرية والقشرية، بل تجاسر بعض من ورد عن مواردهم على رمى الشيعة الاثنا عشرية، بالكفر والردة لوقوفها على ظواهر النصوص[3].

---

(1) المصدر السابق ص ١١ .

(2) تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ١٠٠ ط دار إحياء الكتب العربية ط بدون تاريخ .

(3) الملل والنحلل ١/١٩٣ والنصيرية ص ١٤٢ : ١٤٣ .

لذا نجد النصيريين يؤلون مفهوم العبادات تأويلا باطنيا بعيدا عن الفهم العقلى ومنطق اللغة ، والغرض من هذه التأويلات هو سقوط التكاليف الشرعية عنهم، لأنهم أدركوا مفاهيم هذه العبادات الباطنية من الحقائق والإشارات . وهذا ما نتناوله في (إسقاط التكاليف الدينية) .

رابعا : إسقاط التكاليف الشرعية وإباحة المحرمات

النصيرية شأنها شأن الفرق الباطنية الأخرى، ترى أن الفرائض والعبادات ما هى إلا أغلال وقيود وضعت على الجهلة المقصرين وهم (أهل الظاهر) لعدم اعتقادهم بأسرار الحقيقة الإلهية وظهوراتها . لذلك فقد وضع الله عليهم هذه الفرائض كقيود وأغلال، لتقصيرهم في ذلك، والحقيقة الإلهية عندهم . هو عبادة على بن أبى طالب .

فالذى عرف سر وباطن هذه الحقيقة وآمن بها، فقد سقط عنه عمل الظاهر وأصبح حرا، وسقطت عنه العبودية والرق التى كان مقيدا بها، وهو تائه عن هذه الحقيقة، ويقولون : إن قول الله عز وجل " وأن إلى ربك المنتهى "[1].

أن الرجل إذا عرف ربه، فقد انتهى المطلوب، ورفعت عنه الأغلال والقيود[2].فالصيام مثلا في اليوم الطويل والحار هو - كما يزعمون - من الأغلال والأصار التى وضعت على أهل الظاهر نتيجة لتقصيرهم . لهذا فهم لا يمتنعون عن الطعام والشراب في رمضان[3] .

ويعتبرون جميع الفرائض والعبادات الإسلامية بالنسبة إليهم هى ذكر أسماء أشخاص معينين، وليست كما يعملها أهل الظاهر .

وأشخاص الفرائض الإسلامية بالنسبة إليهم مرتبة من جملة مراتبهم الدينية، وهى مرتبة النقباء، التى يندرج تحتها سبع درجات : وهى الصلاة، والزكاة، والحج ، والصيام، والهجرة، والجهاد والدعاء[4].

---

(1) سورة النجم آية : ٤٢ .

(2) كتاب الهفت والأظلة للمفضل بن عمر الجعفى ص ٥٣، ٥٤ . تحقيق عارف تامر، والأب عبده اليسوعى ط دار المشرق بيروت - بدون تاريخ .

(3) إسلام بلا مذاهب ص ٢٣١ .

(4) الحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٣٩٠ .

فالصلاة عندهم بالجملة هى (السيد محمد) - ﷺ - وأما بالتفصيل فلها واحد وخمسون ركعة لواحد وخمسين شخصا . فالوقت الأول - كما يزعمون - صلاة الظهر، ثمانية ركعات . وهم : القاسم، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورقية ، وأم كلثوم (واسمها آمنة) . وفاطمة الزهراء . وهؤلاء بزعمهم أولاد رسول الله - ﷺ - من خديجة بنت خويلد[1] .

وفى كتاب المجموع المقدس عندهم، هناك سورة اسمها (البيت المعمور) والمقصود بها فريضة الحج . يقول سليمان، الأذنى عن هذه السورة في كتابه الباكورة السليمانية ما يلى : اعلم أن هذه السورة قد رتبها سلفاؤهم باقامة الحج .وهو أن البيت المعمور في القرآن زيارته (الكعبة وأركان البيت، وسقفه حيطانه) .

هو كناية عن أولئك الأشخاص .

كقول الشيخ إبراهيم الطوسى في عينيته :

أيا قلب بيت الله وهو حجابه ... وأما الصفى المقدام للضد قامع

ومروة مذكور أبا الدر شخصها ... شعائره مسلسل إلى الذات خاضع

وعتباته الحاءات يا قلب شخصها ... وحلقة باب البيت جعفر طالع

فالبيت هو الحجاب، والسيد الميم - محمد - ﷺ - والصفى هو المقدام، والعتبتان هما الحسن والحسين ، وحلقة الباب هى معرفة جعفر الصادق، والمروة معرفة أبى الدر (أبى ذر الغفارى)، والمشعر الحرام معرفة سلمان الفارسى، ومعرفة هؤلاء الأشخاص هو نهاية حجهم .وأما سعى المسلمين على مكة فهو باطل عندهم ومذموم، كما قال بعض شيوخهم في هذا المعنى :

وقد لعنت لمن يحرم شربها ... وجميع أهل الشام والحجاج[2]

وأما الجهاد عندهم فهو نوعان : " أولهما الشتائم على أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة، وعلى جميع الطوائف المعتقدين بأن على بن أبى طالب أو الأنبياء أكلوا وشربوا أو تزوجوا أو ولدوا من نساء . لأن النصيرية يعتقدون بأنهم نزلوا من السماء بدون أجسام، وأن الأجسام التى كانوا فيها . إنما هى أشباه، وليست هى بالحقيقة أجسام .

---

(1) الحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٣٩١ .

(2) الباكورة السليمانية ص ٤٠، ٤١ .

النوع الثاني: (من الجهاد) اخفاء مذهبهم عن غيرهم، ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر، وهو خطر الموت"[1] .وهكذا تبين أن جميع الفرائض والعبادات الإسلامية، لا اعتبار لها عند هذه الطائفة بأفعالها وأعمالها الظاهرة، وإنما ذكر بعض الأشخاص يغنى عن كل هذه الأعمال التى يقوم بها الجهلة المقصرين من أهل الظاهر -في زعمهم .

وهذا يفسر لنا عدم وجود المساجد في قراهم ومدنهم، حيث يقيمون الصلاة في أماكن خاصة وسرية تامة، لأن الصلاة كما ذكرنا من قبل لا تؤدى معنيين يرددها النصيرى في مواقف العبادة والابتهال .

لذا فهم لا يشترطون الطهارة في صلاتهم هذه، فالجماع والاحتلام لا يفسد الطهارة، وإنما الذى يفسدها موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطنى، فتكون الطهارة إذن معاداة الأضداد، ومعرفة العلم الباطنى[2] .

هذا إضافة إلى استباحتهم للمحرمات كشرب الخمور، وارتكاب الزنا لأن الخمر والمرأة أمران مهمان ومتلازمان، يقدمان للشاب الداخل في أسرار ديانتهم، باعتبارهما جزءا من الضيافة لمن دخل دينهم، ويزعمون أن الخمر حللها الله لهم بصفتهم أولياء الله الذين آمنوا به وعرفوه بشخص (على) . وحرمه على الجاحدين لله المنكرين له - أى الذين لم يؤمنوا بعلى، فهى نوع من الأغلال والآصار وضعت عليهم بعدم إيمانهم بعلى .. ويسمون بعض صلواتهم بالقداس، لأنهم يقدسون فيها الخمر، لأن القداس في اعتقادهم هو : تقديس الشراب، وشربه بسر النقباء والنجباء[3] .

وأما بالنسبة لإباحتهم للنساء، نجد سليمان الأذنى يذكر:"أن الوصية العاشرة هى الفرض اللازم والحق الواجب على كل مؤمن أن يرضى لأخيه المؤمن كما يرضى لنفسه، فيعنون بذلك تقديم نسائهم إلى الخاصة منهم"[4] .

---

(1) المصدر السابق ص ٣٤، ٣٥

(2) الحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٣٩٣ وإسلام بلا مذاهب ص ٢٣٠ .

(3) الحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٣٦٩ .

(4) الباكورة السليمانية ص ٦٩ .

ويذكر ابن الأثير الجزرى : أن النصيرية يجعلون إباحة الفروج ولو كانوا من ذو الأرحام من الحكمة ما دام على مذهبهم: "وأن الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم وأنه يجوز أنه بجامع الإنسان من شاء من ذوى رحمه وصديقه وابنه، أن يكون على مذهبه، وأنه لابد للفاضل منهم أن ينكح المفضول، ليولج النور فيه، ومن امتنع من ذلك قلب في الدور الذى يأتى بعد هذا العالم امرأة، إذ كان مذهبهم التناسخ"[1] .

ومن المعلوم حق اليقين، أن الإسلام حرم الخمر والزنا - حرمة لا شك فيها . فقال تعالى :﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما ﴾[4]

وقوله - ﷺ - : "لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن"[5].

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال رسول الله - ﷺ -: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه"[6].

---

(1) الكامل في التاريخ ٧/ ١٠٥ .

(2) سورة المائدة آية : ٩٠ .

(3) سورة الإسراء آية : ٣٢ .

(4) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(5) صحيح البخارى - كتاب الأشربة - باب قوله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ٧/ ٧٤ - رقم الحديث ٥٥٧٨، وصحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان بالمعاصى ونفيه عن المتلبس بالمعصية ١ / ٧٦، رقم الحديث ١٠٠ أبى داود - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤ / ٢٢١ رقم الحديث ٤٦٨٩ . ط الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(6) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر،(٤/٣٢٤-٣٢٥) رقم الحديث ٣٦٧٤ ، وسنن ابن ماجه - كتاب الأشربة- باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، (٢/١١٢١-١١٢٢)، رقم الحديث (٣٣٨٠) ، ومسند الإمام أحمد (١/٣١٦) ، رقم الحديث (٣٣٨٠) ط مؤسسة قرطبة ط ، بدون تاريخ.

وقال رسول الله - ﷺ -: "كل شراب أسكر فهو حرام"[1].

لأن من يستحل ما حرم الله من المعاصى، كالخمر والزنا وغيرها، يعد خارجا عن الإسلام، لإنكاره ما علم من الدين بالضرورة.

خامسا: تعاليم السرية للنصيرية

تشترك النصيرية مع سائر الطوائف الباطنية التى عاصرتها، أو أفادت منها في العمل من أجل ضرب السيادة العربية، التى كانت تعتمد على الدين والأدب والعاطفة القومية، وهكذا نظمت النصيرية جمعيتها السرية على غرار الباطنية لتعمل على جبهات ثلاث معا وفى آن واحد.

ففى دائرة العقيدة الدينية: بشرت بالإلحاد والزندقة والإباحية، ودعت إلى إسقاط التكاليف الشرعية.

وفى حقل اللغة والأدب: ناصرت الشعوبية التى بذلت ما وسعها الجهد من أجل تشويه المآثر العربية والانتقاص من شأن العرب.

وفى ميدان العمل السياسى: شاركت حركات التمرد والعصيان المسلحة بقصد إضعاف السلطة السياسية للدولة العربية[2].

وقد اعتمدت النصيرية لتحقيق هذه الأغراض مجتمعة وسيلة العمل السرى الذى يمكن تلخيص أهم معالمه فيما يأتي:

أولا: تلقين معارف غامضة تتميز بالسرية والخفاء، وتعتمد الخطاب بالرموز والإشارات، وترتكز على التدرج في المراتب تبعا للنضج الفكرى والتقدم الروحى للشخص المراد استدرجه وإدخاله في الجماعة السرية.

وهكذا فيما يطرح على المبتدئ الناشئ يختلف عما يلقن به المتدرج السالك، وما يعلن على هؤلاء ويباح لهم، يختلف جوهريا عما أحاط به من بلغ درجة الرشد والكمال في التعاليم السرى، فلكل مرتبة رجالها، ولكل صنف من أصناف الرجال معارف مخصوصة، ومن هنا قسمت

---

(1) صحيح البخارى - كتاب الأشربة - باب الخمر من العسل ١٠/ ٤١ - رقم الحديث ٥٥٨٥، ٥٥٨٦ سنن ابن ماجه - كتاب الأشربة - باب كل مسكر حرام - ٢/ ١١٢٣، رقم الحديث ٣٣٨٦.

(2) النصيرية ص ١٥٣.

المراتب بين أبناء الجمعية السرية تبعا لسنى العمر ومراحل النضج الفكرى، والتقدم الروحى وأطواره[1] .

ثانيا : يسبق هذا التلقين السرى المتدرج ويمهد له بدراسة نفسية شاملة . تهدف إلى تحديد مشاعر المراد دعوته، والوقوف على ميوله ونوازعه ورغباته حتى إذا اطمأن القائمون على شئون الدعوة السرية إلى نفسية المدعو وتحققوا من استجابته، أقيم له حفل مخصوص، يتخذ عند النصيرية، صيغة ما يصطلحون عليه بـ (نكاح السماع) تتخلله طقوس دينية، ومراسم اجتماعية وتقاليد ذات مدلولات رمزية، يقدم فيها المدعو من قبل النقيب والنجيب على الإمام، وسط حشد من الحاضرين، ويشرب فيه الخمر خلال جلسات متتالية متتابعة، تفصل بينها فترات زمانية محددة، تعرف عندهم على التتابع بـ (جمعية المشورة) و (جمعية المليك) و (جمعية القبول) في الجماعة، وأثناء هذه الحفلات المتتابعة، يؤخذ من المدعو العهد والميثاق، والقسم مرارا وتكرارا على كتمان السر، يتكفله ويرجو قبوله مجمع من اثنى عشر كفيلا، يتعهدون بإحضاره إن أفشى السركى يقطع تقطيعا . ويشرب من دمه إن هو خان العهد والميثاق، وخرج عن أمر الجماعة[2].

ثالثا : تعتمد النصيرية شأنها في ذلك شأن الباطنية عامة أساليب الشعبذة والكهانة، وإظهار المخاريق، والاشتغال بالطلاسم والنارنجات في تلقين معارفها السرية المستترة والغامضة، وهو الأمر الذى باشرته الجماعات الهدمية، ابتداءا بالخطابية ومرورا بالشلمغانية والمقنعية حتى النصيرية، وبقدر ما يكون الاستغراق في السرية والغموض والكتمان، يكون الانفصام والانفصال عن العقلانية، مما أدى بتعاليم هذه الجماعات إلى أن تتخذ صورة ديانة شعبية، تكتنفها الأسطورة والخرافة، وتأليه البشر .مما لا يبقى من الإسلام سوى مظهره الخارجى القشرى .

فالعقيدة النصيرية فيها عناصر من الطوطمية كتحريم أكل أو صيد حيوانات معينة كالأرانب والغزلان والنوق، وفيها ميل واضح إلى عبادة الكواكب والنجوم والشمس والقمر،

---

(1) المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤ والحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٧٣ : ٢٧٥ .

(2) ينظر الباكورة االسليمانية ص ١٣ : ١٨، والحركات الباطنية في العالم الإسلامى ص ٣٧٦ : ٣٨٠ والنصيرية ص ١٥٥، ١٥٦ – ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ١٠ /٢٤٩ ط دار المعرفة بيروت لبنان ط بدون تاريخ .

وفيها سحر وكهانة وطقوس، ومزارات وأعياد تختص بها، شأنها في ذلك شان الجماعات البدائية الساذجة[1].

رابعا: إن الشعور بالمهانة والاحتقار والعزلة والاختناق الاجتماعي، وخيبة الأمل والصغار الذى تولد عند النصيرية، بسبب وقوف الإجماع الإسلامى منها موقف الرفض القاطع، قد خلق عندهم شعورا عميقا بالنقص. وهذا الشعور سمة مشتركة بين تلك الطوائف ويعمها جميعا.

وقد أرادت ان تغلب عليه عبر رسائل تعويضية ذات طبيعة سلبية، اتخذت تارة صورة الاستجابة التلقائية المباشرة لكل مغامرة سياسية يخوضها دعى من الطامعين، فتراهم مرة يناصرون التتار، وأخرى يتابعون الصليبيين في غزواتهم، وثالثة يقفون صفا واحدا مع سلطات الانتداب الفرنسي، وتارة صورة الاستعاضة عن الشعور بالنقص بسلوك مناقض له بقصد تجاوزه.

ومن هنا تولد عندهم الشعور الكاذب بالعظمة والتعالى والكبرياء، وادعاء الخصوصية، ولهذا سموا أنفسهم بـ (المؤمنين) و (الموحدين) و (ملح الأرض) و (الممتحنين). وكانت النتيجة المنطقية لهذا الشعور المركب من النقص والتعالى أن اتخذت النصيرية صورة الطائفة المنبوذة بالمعنى الاصطلاحى فظلت حبيسة همومها وأفكارها، وما استطاعت أن تتوافق فتنسجم مع الجماعة الإسلامية[2].

لأن الجماعة الإسلامية ترى في النصيرية فرقة خارجة عن تعاليم الإسلام، لذا نجد النصيريين يميلون إلى التدين بالغلو والإسراف في الحفيظة وكتمان السر وانتشار الشعبذة والخرافات في صفوفها، مع جدب فكرى وانتشار للأمية، والعجمية في اللغة، ومع استمرار حبسها في العزلة الدينية عن جمهور الأمة الإسلامية، أصابها عقدة (مركب النقص) شعب محتقر، ولكنه مختار، فاتخذت هذه التعاليم السرية لها كتعويض للنقص الذى يعيشون فيه، ولذا نجدهم يتصارعون مع كل القوى ضد الأمة الإسلامية، كما اتضح لنا من خلال نشاتهم حتى يومنا هذا.

---

(1) النصيرية ص ١٥٧، وينظر دائرة المعارف القرن العشرين ١٠/٢٤٩.

(2) النصيرية ص ١٥٨.

نتائج البحث

١ - إن النصيرية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين، وإنما هى فرقة من غلاة الشيعة وأنها من الفرق التى قامت لمناهضة الإسلام ومحاربته بالتعاون مع أعدائه من الصليبيين والتتار والاستعمار الأوربى للعالم العربى والإسلامى . مما سفكوا آلالاف من المسلمين الأبرياء .

٢ - أنها تؤمن بالحلول، بمعنى أن الله قد حل في على بن أبى طالب، وفى أشخاص آخرين من الصحابة كسلمان الفارسى والمقدام بن الأسود وأبى ذر، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون — رضى الله عنهم — .

٣ - نجد النصيرية متأثرة تأثرا كاملا بالنصرانية في عقائدها كالتثليث وفى أعيادها كأعياد الغطاس، والشعانين، والعنصرة، ومريم المجدلانية وغيرها من الأعياد، مع استحلالهم للخمر والنبيذ فيها

٤ - أنها تؤمن بعبادة القمر والشمس والهواء، والسماء، وهذه عبادات وثنية، قام الإسلام بمحاربتها لأنها تتنافى مع التوحيد الخالص لله رب العالمين .

٥ - أنها تدعوا إلى أن للشريعة ظاهرا وباطنا، وأن باطنها غير ظاهرها، وترتب على هذا الاعتقاد تركهم جميع الفرائض الإسلامية وتأويلها، تأويلا يخالف مفاهيم اللغة والشرع والعقل في بيان المراد من هذه التكاليف الشرعية . وهذا هدف الباطنية والغلاة لهم الدين الإسلامى .

٦ - تعتقد النصيرية أيضا : تناسخ الأرواح وكفروا بعقيدة البعث والحساب فهدموا بذلك ركنا هاما من أركان الإيمان ألا وهو البعث .

٧ - نجد النصيرية تبيح لاتباعها شرب الخمر والزنا وهما من الأمور التى حرمها الإسلام — حتى يكون الداخل في ديانتهم لا يستطيع المقاومة لقبول دعوتهم الوثنية، لأنه تحت تأثير الخمر والنساء .

٨ - تستخدم النصيرية في دعوتها السرية التامة كالباطنية، وأن من يكشف سر ديانتهم يستباح دمه . مع استخدامها للشعوذة والسحر والعبادات الوثنية القديمة كتحريم أكل بعض الحيوانات . كالأرنب، والغزلان، والنوق .

مراجع البحث

١ - القرآن الكريم، جل من أنزله .

٢ - أساس التقديس في علم الكلام، للإمام فخر الدين الرازى، ط القاهرة ط سنة ١٩٣٥م .

٣ - إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة، ط دار المعرفة ط ثالثة سنة ١٩٧٩م .

٤ - الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، لسليمان أفندى الأذنى، ط دار الصحوة بالقاهرة ، ط أولى ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

٥ - البداية والنهاية للإمام ابن كثير، ط دار الحديث الرشيد، بدون تاريخ .

٦ - البلاد العربية والدولة العثمانية ساطع الحصرى، ط دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٠م .

٧ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ترجمة د/ عبد الحليم النجار، ط دار المعارف ط سنة ١٩٦٢م .

٨ - تاريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل، ط دار الأندلس بيروت، ط ثالثة سنة ١٩٧٩م .

٩ - التبصير في الدين لأبى المظفر الاسفراينى، تعليق محمد زاهد الكوثرى ، ط المكتبة الأزهرية للتراث ط أولى ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

١٠ - تلبيس إبليس لأبى الفرج ابن الجوزى ط دار إحياء الكتب العربية ط بدون تاريخ.

١١ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامى د/ محمد أحمد الخطيب ط مكتبة الأقصى، ط ثانية ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

١٢ - خطط الشام لمحمد كرد على، ط دمشق سنة ١٩٢٥م .

١٣ - دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدى، ط دار المعرفة بيروت، ط بدون تاريخ .

١٤ - رسائل ابن تيمية، ط القاهرة سنة ١٩٢١م .

١٥ - سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط، المكتبة العلمية بيروت ط ، بدون تاريخ .

١٦ - سنن أبى داود السجستانى، ط الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ط ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

١٧ - سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، ط دار الريان للتراث ط أولى ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

١٨ - سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط أولى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

١٩ - صحيح البخاري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط، مكتبة العلمية بيروت، بدون تاريخ .

٢٠ - صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الحديث بالقاهرة ط أولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

٢٢ — العلويون النصيريون لأبي موسى الحريري ط بيروت سنة ١٩٨٠م.

٢٣ - الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي ط دار المعارف ط ثانية بدون تاريخ .

٢٤ - العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط، سنة ١٩٨٠م .

٢٥ - فرق الشيعة لأبي سهل النوبختي تحقيق هلموت رتير ط استنبول سنة ١٩٣١م .

٢٦ - الفرق بين الفرق للبغدادي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية ط ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٢٧ —الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل بيروت ط ثانية ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

٢٨ -فضائح الباطنية للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي، ط القاهرة سنة ١٩٦٤م.

٢٩ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للإمام أبي حامد الغزالي، ط دار المعارف بدون تاريخ

٣٠ - الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، راجعه وصححه، ، صححه د/ محمد يوسف الدقاق، ط دار الكتب العلمية بيروت ط، ثالثة ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

٣١ -كتاب الطواسين في أخبار الحلاج، لماسنيون، تحقيق محمد جابر عبد العال، ط مصر سنة ١٩٦١م .

٣٢ - كتاب الهفت والأظلة للمفضل بن عمر الجعفى، تحقيق عارف تامر، والأب عبده اليسوعى ط، دار المشرق بيروت، بدون تاريخ .

٣٣ - المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ط دار الفكر بدون تاريخ .

٣٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط مؤسسة قرطبة بدون تاريخ .

٣٥ - المعجم الفلسفى د/ جميل صليبا ، ط دار الكتاب اللبنانى بيروت، ط ١٩٧١م .

٣٦ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبى الحسن الأشعرى، تحقيق هلموت رتير ط، فرانز شتانير بقيسادن، ط ثالثة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠ .

٣٧ — مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون ط بيروت سنة ١٩٠٦م .

٣٨ - الملل والنحل، للشهرستانى، تحقيق أحمد فهمى محمد، ط دار الكتب العلمية بيروت — ط ثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ .

٣٩ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن جمال الدين ابن تغردي بردى ط القاهرة ١٩٥٢م .

٤٠ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها في الإسلام ، د/ عرفان عبد الحميد ، ط دار المعارف، بدون تاريخ .

٤١ - النصيرية، لتقى شرف الدين، ط بيروت، لبنان سنة ١٩٨٣م.